مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN:2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد09 / العـدد: 02 (2023)، ص 08- 27

الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية –بعثة لويس أوجين كافينياك(1847-1848) أنموذجا-

The Algerian desert in the writings of the French missions - the mission of Louis Eugene Cavaignac (1847-1848) as a model–

جمال حريشة*[1]، علي طاليبي[2]
[1] جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف (الجزائر)،D.haricha92@univ-chelf.dz
[2]جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف (الجزائر)، A.talibi82@univ-chelf.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/13 تاريخ النشر: 2023/12/30

ملخص:

شهدت الصحراء الجزائرية طوال القرن التاسع عشر ميلادي توافد العديد من البعثات الاستكشافية ومن بين هؤلاء الرحالة والمستكشفين نسلط الدراسة على المغامر الفرنسي لويس أوجين كافينياك ،والذي قام بعدة رحلات إلى إفريقيا ، وله رحلة هامة من تلمسان باتجاه الضاية إلى ان وصل واحات توات بين سنتي 1847-1848م، بتكليف من المؤسسة العسكرية والغرفة التجارية في الجزائر، وقد ساعدت رحلته السلطات الفرنسية في التوغل إلى أعماق الصحراء الجزائرية عن طريق التقارير التي كان يرسلها إلى الغرفة التجارية مدونا ملاحظاته الهامة عن السكان وأصولهم وتاريخهم ومعيشتهم وحدودهم وطرقهم وتجارتهم ورؤسائهم .

وفي هذا المقال سنتعرف على لويس أوجين كافينياك واهم رحلاته ونذكر جملة من نتائج رحلته، حيث تعتبر رحلته دراسة أنثروبولوجية لسكان التوارق، إذ وصف في رحلته لباسهم وعاداتهم وأسلحتهم وسكنهم وتعرض إلى أهم مدنهم، الإضافة إلى تقديم معلومات حول مظاهر السطح والمناخ.

كلمات مفتاحية: لويس أوجين كافينياك، الرحالة، الجنوب الغربي، الصحراء، توات.

Abstract:

Throughout the nineteenth century, the Algerian desert witnessed the influx of many expeditions, and among these travelers and explorers, we shed light on the French adventurer Louis-Eugene Cavaignac, who made several trips to Africa, and had an important trip from Tlemcen towards Dhia until he reached the oases of Touat between the years 1847-

* المؤلف المرسل

1848. , commissioned by the military establishment and the Chamber of Commerce in Algeria, and his trip helped the French authorities penetrate into the depths of the Algerian desert through the reports he sent to the Chamber of Commerce, writing down his important notes about the population, their origins, history, livelihood, borders, ways, trade and chiefs.

In this article, we will get acquainted with Louis-Eugene Cavaignaqua, their travels, and mention a number of the results of his trip, as his trip is an anthropological study of the Tuareg population.

Keywords: Louis Eugène Cavaignac, backpacker, southwest, desert, tawat

1.مقدمة:

لعب الرحالة والمستكشفون الأوربيون دورا بارزا في توطيد دعائم الاستعمار الأوربي وبسطه في إفريقيا عامة والجزائر خاصة، كما كان لهم دور كبير في التأريخ لأهم المناطق والصحاري في إفريقيا ومن بينها الصحراء الجزائرية، وقد كان أغلب رواد البعثات الاستكشافية ضباطا عسكريين أوفدتهم جهات رسمية كالحاكم العام ووزارة الأشغال العمومية في باريس ، مع توفير حماية عسكرية مزودة بالسلاح والذخيرة، وقد كانت تقارير المستكشفين وملاحظاتهم ترفع إلى الجهات الحكومية الوصية ، ولا يمكنهم نشر أبحاثهم أو تقاريرهم في دوريات الجمعيات إلا بإذن من هذه الجهات .

وقد شهدت الصحراء الجزائرية طوال القرن التاسع عشر ميلادي توافد العديد من البعثات الاستكشافية ومن بين هؤلاء الرحالة والمستكشفين نسلط الدراسة على المغامر الفرنسي لويس أوجين كافينياك ،والذي قام بعدة رحلات إلى إفريقيا ، وله رحلة هامة من تلمسان باتجاه الضاية ثم إلى منطقة الغور ثم عين الصفراء إلى أن وصل واحات توات مرور بواحة عسلة بين سنتي 1847-1848م، بتكليف من المؤسسة العسكرية والغرفة التجارية في الجزائر وذلك لاستكشاف الطرق التجارية الصحراوية من اجل تسويق المنتجات، واستطاع من خلال هذه الرحلة تكوين صداقات عديدة مع السكان

انطلاقا من تلمسان وصولا إلى واحات توات، وقد ساعدت رحلته السلطات الفرنسية في التوغل إلى أعماق الصحراء الجزائرية عن طريق التقارير التي كان يرسلها إلى الغرفة التجارية مدونا ملاحظاته الهامة عن السكان وأصولهم وتاريخهم ومعيشتهم وحدودهم وطرقهم وتجارتهم ورؤسائهم .

يهدف هذا المقال إلى التعريف بشخصية لويس أوجين كافينياك واهم رحلاته، ثم نتطرق بالتفصيل والتحليل إلى رحلته إلى الجنوب الغربي الجزائري ونخص بالذكر اكتشافه لجبال الأطلس الصحراوي، وقصور الجنوب الوهراني وواحاته ووصفه إياها واهم المدن التي مر بها وفي الأخير نذكر جملة من نتائج رحلته، حيث تعتبر رحلته دراسة أنثروبولوجية لسكان التوارق بواحة الهوقار، حيث وصف في رحلته لباسهم وعاداتهم وأسلحتهم وسكنهم وتعرض إلى أهم مدنهم ، بالإضافة إلى تقديم معلومات حول السكان ومظاهر السطح وأشكال الحكم ونشاط التجارة الصحراوية بين التل والصحراء الجزائرية.
وتنطلق هذه الورقة البحثية من الإشكالية التالية :

كيف يمكن ان تساهم رحلة لويس أوجين كافينياك في التأريخ لمنطقة الجنوب الغربي للجزائر؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم اعتماد خطة دراسة تتكون من ثلاثة محاور :

أولا- التعريف بشخصية لويس أوجين كافينياك.

ثانيا- الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية من خلال رحلته.

ثالث- أهمية رحلة كافينياك في التأريخ لمنطقة الجنوب الغربي للصحراء.

واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي من خلال الوصف والذي أفاد في تتبع مراحل الرحلة والمناطق التي نزل بها كافينياك، كما اعتمدنا التحليل والذي أفاد في كشف بعض الملابسات في الرحلة وحيثياتها وخلفياتها.

2. التعريف بشخصية لويس أوجين كافينياك (Louis Eugène Cavaignac)

يعتبر لويس أوجين كافينياك(Louis Eugène Cavaignac) سياسيا فرنسيا عاما ، شغل منصب رئيس الدولة في الجمهورية الفرنسية الثانية في عام 1848، قبل تعيينه نائبا لوزير الحرب الفرنسي، اتهم بإخماد انتفاضة أيام جوان 1848م ، وهي ثورة واسعة النطاق في باريس ضد الجمعية الوطنية الفرنسية ، وتم منحه مؤقتًا سلطات الطوارئ للقيام بذلك. تم الثناء عليه من قبل الجمعية الوطنية ، وشغل منصب الرئيس المؤقت لدولة فرنسا (رئيس السلطة التنفيذية) حتى الانتخابات الرئاسية عام 1848، التي اجتهد فيها لكنه خسر بفارق كبير أمام لويس نابليون بونابرت. (ترومللي ، 2013: 78).

1.2 مولده ونشأته :

ولد لويس أوجين كافينياك(Louis Eugène Cavaignac) في باريس في 15 أكتوبر 1802، وهو الابن الثاني والأخير من جان بابتيست كافينياك ، وهو عضو في اتفاقية و ممثل عن البعثة أثناء الثورة الفرنسية، إلتحق بكلية الفنون التطبيقية في عام 1820 ، وتركها بعد عامين لمواصلة دراسته في ميتز. (بن سيفي، 2016: 62).

2.2. إنخراطه في المدرسة العسكرية للهندسة: بعد إنهاء تعليمه، إلتحق كافينياك بالجيش كملازم ثانٍ للفوج الثاني من المهندسين العسكريين، ورقي إلى رتبة ملازم عام 1826 ، وخدم في بعثة موريا بين عامي 1828 و 1829 ، أثناء حرب الاستقلال اليونانية .

كان كافينياك متمركزًا في أراس عندما اندلعت ثورة جوان ، وأصبح أحد الضباط الأوائل الذين انضموا إلى الثورة ضد مملكة بوربون ، وسرعان ما تمت ترقيته إلى رتبة نقيب في أكتوبر 1830، وفي عام 1831، تم تسريحه من الخدمة الفعلية نتيجة لمعارضته المعلنة للجمهورية، ولكن في عام 1832 تم استدعاؤه للخدمة وإرساله إلى الجزائر .(مرجاني، 2020/2019 : 35)

3.2 نشاطه وأهم المهام الموكلة إليه:

ساهم تكوينه ونشاطه لمدة ستة عشر عامًا الى بروزه في الساحة الوطنية ، فحظي بتميز خاص في قيادته التي استمرت خمسة عشر شهرًا لحامية تلمسان المكشوفة ، وهو أمر تم اختياره من أجله من قبل المارشال برتراند كلاوسل (1772-1842) Bertrand Clausel ، ودفاعًا عن شرشال (1840). تم تحقيق كل خطوة تقريبًا من خطوات ترقيته في ميدان المعركة، وفي عام 1844 طلب هنري دورليانHenri d'Orléans دوق دومال Daumale ، ترقية كافينياك إلى رتبة مارشال دي كامب ، وتم ذلك في نفس العام ، وتولى قيادات مقاطعات مختلفة في الجزائر حتى عام 1848. (بن سيفي، 2016: 63).

1- **الجمهورية الثانية وأوائل الحياة السياسية:** بعد فيفري 1848 وقيام الجمهورية، تلقى ترقية إلى عام من الانقسام وعين الحاكم العام للجزائر من قبل الحكومة المؤقتة الفرنسية خلفا للدوق دومال Daumale ، ابن لويس فيليب .في 20 مارس عُرض عليه منصب وزير الحرب ، لكنه رفض ذلك في رسالة موجهة إلى الحكومة المؤقتة ، كتبت من الجزائر العاصمة في 27 مارس بعد حوالي شهر ، غادر كافينياك الجزائر لتولي مقعده كممثل عن لوط في الجمعية الوطنية التأسيسية ، بعد أن كان الأكثر تصويتًا في ذلك القسم في الانتخابات التشريعية لعام 1848(90: 1889,Narcisse) .

وصل كافينياك إلى باريس في 17 ماي 1848، وفي نفس اليوم قبل من اللجنة التنفيذية منصب وزير الحرب الذي رفضه سابقًا. في الجمعية الوطنية جلس مع متوسطة الجمهوريين، وهناك، في الدورة 10 جوان، إنخرط في نقاش مع النابليونية نائب جيورجيس شارل، الذي بدأ العداء الدائم بين عام و لويس نابليون بونابرت. (ترومبلي ، 2013: 79)

2- **انتفاضة أيام يونيو:** في 23 جوان، كلفت اللجنة التنفيذية الحاكمة كافينياك بمسؤولية قمع تمرد عمالي مسلح واسع النطاق في شرق باريس ، والذي سيُعرف باسم أيام جوان. بحلول 24 جوان، شكل المتمردون مثل هذا التهديد أن الجمعية الوطنية أعطت سلطات ديكتاتورية لكافينياك، وحل اللجنة التنفيذية ، ووضع باريس في حالة حصار. (ترومبلي ، 2013: 80)

اعتبر كافينياك الانتفاضة قضية عسكرية قبل كل شيء، وبالتالي اعتمد على القوات النظامية مع بعض المساعدة من الحرس الوطني وميليشيا المواطنين الجدد ، الحراسة المتنقلة ؛ ولم يترددوا في استخدام المدافع لهدم الحواجز، عندما تقدمت قواته في ثلاثة أعمدة قوية ، كانت كل بوصة من الأرض متنازع عليها ، وكثيرا ما تم صد القوات الحكومية ، مما تطلب التعزيزات من قبل أفواج جديدة ، حتى شق طريقه إلى ساحة الباستيل وسحق التمرد في وقته مقره، بحلول 26 جوان تم إخماد الانتفاضة(مرجاني، 2020/2019 : 36)

من منظور كافينياك وغيره من الجمهوريين المعتدلين الحاكمين ، تم إنقاذ الجمهورية الفتية، حيث استطاع كافينياك التصدي للثورة بتصميم قوي، وأخذ وقته في الاستعداد للإضراب في ذلك الوقت، اشتبه ألفونس دي لامارتين Alphonse de Lamartine في أنه اختار عمدًا تأخير رد الحكومة، مما سمح للمظاهرات المبكرة في 23 جوان بالتوسع، بحيث يكون انتصار كافينياك النهائي على المتمردين أكثر حسماً .(بن سيفي، 2016: 63).

3- **رئيس السلطة التنفيذية:** قدم نفسه أمام الجمعية الوطنية بعد هزيمة الانتفاضة أعلن كافينياك عزمه على التخلي عن السلطات الديكتاتورية المفوضة إليه ، وهو ما فعله في 28 جوان وبناءً عليه، أكدت الغرفة أنه رئيس للسلطة التنفيذية بصفته جمهوريًا ملتزمًا، وقد سعى كافينياك كرئيس لدولة فرنسا لتأمين المؤسسات الديمقراطية الأخيرة في البلاد، التي تحققت مع ثورة فيفري، واختار أعضاء حكومته وفقًا لذلك ارتبط العديد من وزراء الحكومة أيضًا بصحيفة الوطن **Le National** ، صحافة الأغلبية الجمهورية المعتدلة في الجمعية الوطنية. (ترومللي ،2013: 79)

خلال حكومته المبكرة، فرض كافينياك سيطرته على النوادي السياسية وقمع الصحافة اليسارية، التي اعتبرها مسؤولة عن التحريض على التمرد المسلح في جوان. وحظر مؤقتًا نشر إحدى عشرة صحيفة، بما في ذلك ***Le PèreDuchêne*** ، التي سميت

على اسم المنشور الراديكالي في تسعينيات القرن التاسع عشر .(مرجاني، 2020/2019 : 35).

في وقت لاحق في أوت ، حظر إلى أجل غير مسمى ***Le PèreDuchêne*** مع ثلاث مجلات أخرى لكونها "أدوات للحرب الأهلية وليس الحرية(مرجاني، 2020/2019 : 36)

على الرغم من اختتامه لورش العمل الوطنية في جويلية، والتي كانت قد قررت سابقًا من قبل الجمعية الوطنية قبل أيام جوان، رعت حكومة كافينياك بعض التشريعات الاجتماعية البدائية. تم تنفيذ الإغاثة المباشرة لتحل محل ورش العمل الوطنية، وتم تنفيذ مشاريع الأشغال العامة على نطاق واسع من أجل الحد من البطالة. (Narcisse,1889 :91)

قدم كافينياك تمويلًا حكوميًا لعدد من تعاونيات المنتجين ، وتشريعات منظمة بشأن الحد الأقصى لساعات العمل لعمال المصانع الذكور البالغين، وحاول إضفاء الطابع الديمقراطي على المؤسسات التعليمية ورعى إصلاحات تحديث النظام البريدي الوطني. خلال هذه الفترة، وبدعم من الرئيس التنفيذي، صاغت الجمعية الوطنية دستورًا ديمقراطيًا حقيقيًا لفرنسا.(مرجاني، 2020/2019 : 37)

4- **في السياسة الخارجية** ، في عام تميز بربيع الأمم في معظم أنحاء أوروبا، حافظ كافينياك بشكل أساسي على الموقف الذي تبنته الحكومة المؤقتة؛ وهذا هو، التأكيد من التعاطف تجاه الحركات الوطنية، وبخاصة في إيطاليا، ألمانيا وبولندا، ولكن تجنب أي تورط مباشر. تم فرض سياسة الحياد هذه جزئيًا بسبب القلق بشأن الأمن الداخلي،

ولكن أيضًا بسبب تعقيد الوضع وعدم استقراره في الخارج. كان مجال الاهتمام الرئيسي لفرنسا شمال إيطاليا ، حيث كانت بيدمونت-سردينيا تقود حرب الاستقلال الإيطالية الأولى ضد الإمبراطورية النمساوية . (مرجاني، 2020/2019 : 38)

بعد الانتصار النمساوي في أواخر يوليو في كوستوزا ، نظم كافينياك جيشًا لكنه رفض التدخل في غياب طلب رسمي للمساعدة من بيدمونت-سردينيا. ومع ذلك ، في أواخر نوفمبر ، عندما أجبرت الثورة في روما البابا بيوس التاسع على الفرار ، عرض عليه كافينياك اللجوء في فرنسا وأعد قوة استكشافية لإنقاذه ، والتي ألغاها عندما لم يعد البابا في خطر(94-92: Narcisse,1889) .

5- **الانتخابات الرئاسية** :استمر كافينياك في الحكم كرئيس للسلطة التنفيذية حتى انتخاب رئيس منتظم للجمهورية . كان من المتوقع أن يؤدي الاقتراع في فرنسا إلى رفع كافينياك إلى هذا المنصب. لكن جماهير الشعب ، وخاصة سكان الريف ، الذين سئموا الثورة ، والذين سئموا حتى من الجمهورية المعتدلة لكافينياك ، كانوا حريصين على حكومة مستقرة. مقابل الخمسة ملايين ونصف المليون صوت المسجلة لصالح لويس نابليون بونابرت ، حصل كافينياك على مليون ونصف فقط. لم يخل من الاستياء من هزيمته ، فقد انسحب إلى صفوف المعارضة. (بن سيفي، 2016: 64).

6- **في المعارضة:** واصل كافينياك العمل كممثل في الجمعية الوطنية لما تبقى من الجمهورية الثانية. في انقلاب 2 ديسمبر 1851 من قبل الرئيس لويس نابليون بونابرت، تم اعتقاله مع أعضاء آخرين من المعارضة. أطلق سراحه بعد سجن قصير في شاتو دو هام . مع زوجته المتزوجة حديثًا ، عاش في التقاعد حتى وفاته في شاتو دورن في فيل، سارث .كان ابنه جاك ماري أوجين جودي فروي كافينياك سياسيًا بارزًا. (ترواملي ، 2013: 83).

3. الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية من خلال رحلته

يعتبر الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية من أهم المحطات البارزة في تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء، حيث وبعد أن أحكمت فرنسا قبضتها على الجزائر منذ 1830 انشغلت باحتلال أقاليمه الجنوبية، حيث كانت بمثابة قواعد خلفية للثورات الشعبية الجزائرية ، وقد تمكنت فرنسا من الوصول إلى عمق الجنوب الجزائري،

بعد أن كثفت الحكومة الفرنسية إرسال البعثات والرحلات الاستكشافية اليه وعملت على القيام بدراسات ميدانية دقيقة ومتخصصة، مستعينة في ذلك بالعديد من الباحثين والمغامرين ورجال الدين والأدباء، بالإضافة إلى الضباط العسكريين لانجاز التقارير والدراسات التي تمكن السلطة الفرنسية من التعرف على خبايا الصحراء، ودونوا كل صغيرة وكبيرة أحصوها حول المنطقة، سواءا كانت طبيعية أو اقتصادية أو بشرية ،

وذلك من اجل السيطرة عليها واستغلال خيراتها ، وهذا ما سنلاحظه ونجده في رحلة كافينياك .

1.3مسار الرحلة وأهم المدن التي مر بها:

1- مسار الرحلة :

في سنة 1847م تولى الجنرال كافينياك بعثة استكشافية إلى الجنوب الغربي للجزائر، حيث استكشف فيها جبال الاطلس الصحراوي، وقصور جنوب القطاع الوهراني وواحاته، وزار كل من : عسلة ، مغرار التحتاني والفوقاني ، وتيوت وسفيسفة ، وعين الصفراء، هذه الأماكن مكنته من دراسة ووصف لأهم المظاهر الطبيعية من شطوط ومرتفعات، كما قام أيضا بتسجيل عديد الرسومات والنقوشات التي عثر عليها في كل من تيوت ومغرار التحتاني ، واثناء تواجد كافينياك قام بوصف قصور جنوب القطاع الوهراني او الأطلس الكبير كما يسميه هو ، ودعم كتابه برسومات لتلك القصور وخريطة لمسالك رحلته . (بن سيفي، 2016: 64).

انطلقت بعثة الجنرال كافينياك من تلمسان افريل 1847 باتجاه الضاية (ضاية الفرد ببلدية العريشة بولاية تلمسان اليوم) ، لتتحول البعثة إلى منطقة الغور (بولاية البيض اليوم)، ثم توجهت في 05 ماي نحو عين الصفراء ثم السفيسفة (ماتعرف اليوم بالصفيصفية بولاية النعامة)، التي قاوم فيها أهلها كافينياك من خلال وضع الحجارة على شرفات القصر، تتخللها البنادق ليتوجه فيما بعد إلى قرية سبدو (إحدى بلديات مدينة تلمسان اليوم) ، والتي وصلها في 21 ماي ودخلها ، حيث تمكنت بعثته من دراسة ووصف الشطوط والمرتفعات التي مر عليها، وفي 16 افريل بلغ الشط الشرقي وهي منطقة فاصلة بين التل والصحراء .(مرجاني، 2020/2019 : 37)

وفي 22 افريل 1847 شق طريقه نحو واحات توات، أعجب كافينياك بالصحراء الجزائرية حيث قال لا تعمر الصحراء اي مدينة تضاهي هذا القدر من التباين بين الحياة والموت وثراء التربة والقحط المطلق، تعرف كافينياك على مسالك الصحراء فهو السباق

من الأوربيين الوصول إليها وحقق لبلده فرنسا تنشيط التجارة بين المنطقة الجنوبية وربطها بالبلدان المجاورة .(acquot, *1849 :41*)

2- أهم المدن التي نزل بها:

كما وصف في رحلته إلى جبال الهوقار سكان التوارق الذين قال عنهم بانهم محتلون للصحراء الجزائرية، وربما هذا جاء في إشارة منه إلى النفوذ الكبير للقبائل وتعدد فروعها والمساحة الجغرافية الشاسعة التي تستوطنها هذه القبائل، حيث امتدت من مدينة غات على الحدود الليبية الجزائرية شرقا إلى مدينة تمنراست غربا، ومن مدينة ورجلان شمالا إلى حدود النيجر جنوبا، وتطرق في وصفه إلى لباسهم وعاداتهم وتقاليدهم وأسلحتهم وسكنهم كما تكلم عن أهم المدن وهي غات، والاير (بن سيفي، 2016: 65).

2.3 وصفه للأوضاع الاجتماعية في المنطقة

1- **تركيبة السكان في المنطقة:** حسب كافينياك فانه قد وجد الصحراء الجزائرية يشترك فيها شعبان يختلفان في أصلهما وطريقة حياتهما، وهما البربر الذين يسكنون القصور والعرب في الخيام البدوية والبربر هو السكان الأصليون الحقيقيون، وهم نتاج اندماج الشعوب البدائية التي احتلت شمال إفريقيا في الأيام الأولى (الليبيون في الشرق والجيتوليون في الغرب) ثم اندمجوا مع الرومان وقبل كل شيء الوندال وهو ما يمثل اليوم عدة عناصر حميمية لتعاقب الأجيال وتعدد الصلبان مجتمعة ومندمجة في كل واحدة متجانسة .(acquot, *1849 :259*)

حافظ البربر على الرغم من اتصالهم اليومي بالعرب على شخصيات مميزة تماما حيث لم يكونوا بدوا رحل ولا رعاة بل كانوا مستقرين يمارسون الزراعة ويتحدثون لغة مختلفة تماما عن اللغة العربية ، لقد كان الشعبان مرتبطان بتعاطف شديد يسود التوافق بينهما بصراحة تام .(acquot, *1849 :260*)

وشكل الدين النقطة الوحيدة المشتركة حقا بين هاذين الشعبين ولكن يبدو انها قد خضعت لبعض التعديلات في الجنوب ، فالطوارق (الذين ينتمون إلى أصل بربري) لديهم عبادة مختلطة بين الإسلام والفتشية[1]، لقد كان الطوارق في الحدود الجنوبية لفلات يمارسون القران الكريم ويحفظونه وبالقرب من تمبكتو ، ومثل الطوارق النسبة الكبيرة من السكان الأصليين في المنطقة ، واستوطن العرب السهول الصحراوية (الرق والعرق). (acquot, 1849 :261)

كانت الهجرات بين القبائل من الجنوب إلى التلال غير محدود الزمن وفي مساحة محدودة، حيث كانوا يتبعون أماكن المؤونة والقطعان ومثال ذلك واحات أولاد سيدي الشيخ فقد كانت غنية بالثروة الحيوانية وكانت الطرق بهذه الواحات محمية من نهب اللصوص وقبائل العدو ، وفي كثير من الأحيان كان الغزاة يجردون البربر من ثمار حدائق هذه الواحات والنخيل بدرجة أولى.(acquot, 1849 :261)

وهذا ما ذهب إليه احمد بن هطال التلمساني في وصفه لرحلة محمد الكبير حيث يذكر أن سكان هذه المناطق هم من العرب والتوارق، وقد كان العادات والتقاليد مصدرها الدين الإسلامي. (التلمساني ، د.ت: 35)

استمد كل مجتمع الجنوب الغربي للصحراء نظامه الاجتماعي من الإرث الثقافي والحضاري للفترات التاريخية السابقة، بحيث يمكن القول أنّ الأسس التي شكلت البنية التقليدية العسكرية، الإدارية، السياسية والدينية للمجتمع الجزائري مستمدة من الحضارات المختلفة التي تعاقبت عليها.

2- نشاطهم الاقتصادي:

قد اختلف توزيع الأراضي الخصبة في أيدي البدو وسكان المدن اختلافا كبيرا في نسبه، حيث عدد قليل من الواحات الفقيرة الخالية من وسائل الدفاع والمحرومة من الصناعة التي يمكن ان تثريهم فاحتكر الأول كل شيئ تقريبا، في حين أن بعض المدن

الغنية والقوية من الصحراء الجزائرية بها تقريبا كل المزارع التي تحيط بها .(acquot, *1849 :263*)

لقد كانت عرب الصحراء بحاجة إلى التوارق في صناعة الملابس الفاخرة والحدادة وصناعة الأسلحة والسروج والصباغة، أما سكان الواحات فكانوا يحتاجون العرب في تجوالهم المستمر والهجرات إلى التل، وكان أمازيغ الصحراء يحتاجون إلى تمور الجنوب وإلى الحبوب من التل ، وكانت تتم تجارة المنتجات الطبيعية مع السودان من قبل القبائل الرحالة .(acquot, *1849 :264*)

وقد وصف كافينياك في رحلته سكان التوارق، والذين قال فيهم انهم يحتلون الصحراء الجزائرية بعد فرارهم من الاحتلال في الشمال – كما أسلفنا الذكر- ، ويقول كافينياك عن التوارق في وصف خطورتهم للسلطة الفرنسية: "... ان تمكنا ان نحكم قبضتنا على البدو والرحل الذين قد يبدو من الوهلة الأولى أنهم قادرون على الإفلات من سيطرتنا أن تفصلنا عنهم تلك الربوع الشاسعة.. والتي يصعب على جيوشنا عبورها.. كما أنهم ينتقلون في الصحراء بسرعة تفوق سرعة تحركنا.." (acquot, *1849 :273*) .

3.3 وصفه لجغرافية المنطقة ومناخها:

أعجب كافينياك بالصحراء الجزائرية ، حيث يقول في ذلك :.." لا تعمر الصحراء اي مدينة تضاهي هذا القدر من التباين بين الحياة والموت وثراء التربة والقحط المطلق.." . (acquot, *1849 :244*)

وقد ازداد اهتمام المستكشفين الفرنسيين بالصحراء الإفريقية الكبرى بما فيها الصحراء الجزائرية خاصة بعد احتلالها سنة 1830، وأعجبوا بها أيما إعجاب ولهذا قامت فرنسا بإرسال العديد من البعثات الاستكشافية (احمد بوسعيد، ديمبر 2020: ص 308) على غرار رحلة كافينياك والتي تضمنت :

1- **المناخ :**

جاء في كتاب الرحلة لكافينياك أن مناخ واحات المناطق الشمالية من الجنوب الصحراوي الغربي ليس ملائما لنخيل التمر لدرجة انه لا يحتاج إلى اهتمام خاص، وتعتبر أشجار النخيل الصغيرة في مزرعة حديثة والتي تم إنشاؤها من طرف السكان كمستثمرات، حيث كانت هذه الأشجار الصغيرة حساسة جدا وتتأثر بدرجة كبيرة للبرد ، وهذا ما دفع السكان إلى إحاطتها بنوع من الحماية خلال أشهر الشتاء ، وتعتبر أشجار النخيل القديمة نفسها مثيرة للإعجاب بسبب صمودها لدرجات الحرارة المنخفضة وهو ما حال دون موتها، غير أن درجة الحرارة المنخفضة في فصل الشتاء أثرت على محصول ثمارها.*(Jacquot, 1849 :264)*

ويرتبط اقتصاد كل منطقة بالاعتبارات الجغرافية والمناخية. والجنوب الغربي لا يخرج عن هذا المنطق خاصة منطقة الهضاب العليا، بموقعها المغلق ومناخها القاري الجاف، المتميز بالأمطار القليلة (*Sabatier. 1881* :5)

في حين نجد انه في المقاطعات الجنوبية من توات وعين صالح على سبيل المثال تم العثور على نخيل التمر في ظروف مناخية مناسبة لطبيعته ودرجة حرارة مناسبة ، في حين انه كانت درجة الحرارة تنخفض مع ارتفاعاتنا وتزداد كلما اتجهنا بخط الاستواء ، ومع ذلك كانت واحات أولاد سيدي الشيخ تكتسب من خلال خطوط العرض الخاصة بها أكثر مما تخسره بسبب ارتفاعها ، وعليه فقد توصل كافينياك إلى أن درجة حرارة هذا الجزء من الأطلس الكبير غير منظمة وهناك اختلافات اكبر بين متوسط الصيف ومتوسط الشتاء ، ويمكن تسمية هذه المناخات بالمناخات القارية . *(Jacquot, 1849 :265)*

حسب كافينياك فقد كان الشتاء باردا جدا حيث كانت الثلوج موجود بالقرب من قصر عسلة وان مقياس درجة الحرارة انخفض اقل من 0°، وقد كان الصيف أكثر حرارة وهو ما تسبب في ندرة المياه والغطاء النباتي، وقد انعكست الحرارة بارضية ملونة.

وقد لعبت الوديان وغياب رياح البحر في وجود سهول جرداء تمتاز بتفحمها من أشعة الشمس وتكتسحها رياح الفلات ، وقد وصلت درجة حرارة الزئبق إلى 51° في يوم 14 ماي في صحراء أنجاد ونفس الشيئ في 18 ماي و35° في الخيمة (الظل)، بالنسبة للتساقط في هذه المنطقة فيقول كافينياك انه لا تسقط أي قطرة ماء بين أولاد سيدي الشيخ لمدة ستة أشهر من السنة في الربيع والخريف ، وفي حالة حدوث أي عاصفة تمر جميع مراحلها عموما في المناطق المرتفعة من الغلاف الجوي وتتبخر الحويصلات المائية المتحدة في قطرات المطر قبل الوصول إلى الأرض عابرة طبقات الهواء تزداد سخونة التربة. (acquot, *1849 :267-269*)

كما تم ملاحظة العديد من هذه العواصف الرعدية في شهر ماي ، وسماع اصوات رعدية ورؤية سحب رمادية غير كثيفة ، و تم مشاهدة العواصف في المناطق العليا في الغلاف الجوي.(acquot, *1849 :269*)

2- محاصيل زراعية :

كان الغطاء النباتي نادر جدا في الصحراء ، ومن بين النباتات التي انتشرت آنذاك الذرة والدخن والبصل والكرنب واللفت والطماطم والبطيخ ...، وقد كان الفلفل منتشر بين سكان الصحراء ويفضلونه أما عن الفواكه فقد كان اللوز والتين والتفاح والرمان والخوخ والمشمش من بين الأشجار المثمرة المنتشرة هناك، وهذا نتيجة للمناخ الحار ، وقد كان الفول والتبغ يزرع في أماكن قليلة ، أما عن الأشجار الصنوبرية من السكان الأصليين حيث يستخدمها السكان الصحراويون في الحصول على المنتج الراتنجي[2] لتعليف جمالهم ، كما انه لا توجد الصنوبريات في الصحراء في الجزء الذي تم زيارته، كما انتشرت على حافة الجداول الطرفلة والدفلى .(acquot, *1849 :272*)

4. دور رحلة كافينياك في التأريخ لمنطقة الجنوب الغربي للصحراء

طغى على هذه الرحلة الأسلوب الوصفي باعتباره الأسلوب الأنسب لمثل هذا النوع من الرحلات ، بالإضافة إلى الأسلوب القصصي الذي استعان به المؤلف في رواية بعض الحكايات والقصص عن تاريخ المنطقة وسكانها، فهي تمد القارئ بالكثير من المعطيات التاريخية والاجتماعية والاثرية والثقافية عن منطقتنا محل الدراسة ، وعلاوة على ما سبق ذكره فهذه الرحلة من الناحية العلمية الموضوعية هي دراسة انثروبولوجية وإثنوغرافية وطبوغرافية لمنطقة الجنوب الغربي من الصحراء ، والتي من خلالها يتمكن الفرنسيون من معرفة تركيبة المجتمع الجزائري وعاداته وطبيعة ارضه . (احمد بوسعيد، ديسمبر 2020: ص319)

ويمكن تقسيم هذه الأهمية العلمية إلى ما يلي:

1.4. الأهمية التاريخية للرحلة:

من دون شك ان هذه الرحلة أثبتت اهتمام الفرنسيين بكتابة تاريخ الجزائر عامة والتاريخ الجهوي المونوغرافي لهذه المنطقة بصفة خاصة، وهو ما اثبت عزمهم في إلحاق هذه الأرض وتاريخها بتاريخ الحضارة الغربية فنجدهم يمجدون كل ما هو روماني ويفتشون عليه ويحرصون على تدوينه ويطمسون ويخفون كل ما هو إلى الحضارة المشرقية او المحلية، وهذا ما لمسناه عند صاحب هذه الرحلة، ولكن رغم هذا لم تخلو الرحلة من المعطيات التاريخية الموضوعية استدعتنا إلى الوقوف عندها: (خريوش ، د.ت : 71).

فمن الأمور التي وقف عندها صاحب الرحلة الاستكشافية ان المنطقة خضعت للسيطرة الرومانية فترة طويلة، ولم يستطع تحديد إطارها الزمني بدقة وساد في اعتقاده أنها كانت مدينة ومحمية عسكرية، حسب الدراسات التاريخية والأثرية التي أجراها ماك كارتيه Mack cartier فان ما ذكره كافينياك صحيح في هذا الباب. (فهيم ، 1989: 41).

رغم أن كافينياك لم يصرح في رحلته بهذا فان صاحب الرحلة كان على رأس جيش كبير يحتوي على عشرات الكتائب والهدف من وراء هذه الحملة فرض حصار على المنطقة ومراقبة القبائل التي كانت موالية للأمير عبد القادر خاصة قبائل بني عامر. (بن سيفي، 2016: 66).

2.4. أهمية رحلة كافينياك في كتابة التاريخ الاقتصادي للمنطقة :

استطعنا من خلال رحلة كافينياك استخلاص نوع النشاط الممارس من طرف السكان حيث تم الوصول إلى أن سكان الجهة الغربية مارسوا الزراعة ولكنهم لم يكونوا في أحسن حال وكانوا فقراء حسب وصفه لهم " **... لقد كان متعجبا رغم ما يملكون من أراضي إلا أنهم لا يستغلونها أحسن استغلال..**" (بن سيفي، 2016: 67).

بينما كان أولاد سيدي الشيخ وأمازيغ الصحراء يمارسون الفلاحة وزراعة الأشجار كان العرب يمارسون الرعي والتجارة غبر القوافل مع المناطق المجاورة ومع السودان ، ويصف كافينياك حالهم انه كان لهم الكثير من القطعان والماشية ولديهم الكثير من الغلال والاحتياطي في المطامير وبساتين يسقونها من العيون . (بن سيفي، 2016: 68).

3.4. أهمية رحلة كافينياك في كتابة التاريخ الاجتماعي للمنطقة:

استطعنا من هذه الرحلة الاستشكافية التي كتبها الجنرال كافينياك في منتصف القرن التاسع عشر رسم صورة بسيطة عن الواقع الاجتماعي للمنطقة، حيث يتضح من خلال ما قدمه كافينياك ان هذه المنطقة كانت شبه عامرة بالسكان في تجمعات قبلية يعيش اغلبهم في الخيام والقليل منهم في البيوت والقصور الصحراوية ، وبعض القبائل تبني خيامها على شكل دائري وكل دائرة تحتوي على ثماني او عشرة خيام، ومن خلال رحلة كافينياك تم تمييز أن المنطقة كانت تضم قبائل من العرب هم أولاد سيدي الشيخ

وهم من اكبر القبائل بالإضافة إلى أمازيغ الصحراء التوارق. (مرجاني، 2020/2019 : 38)

كانت نساء الجنوب الغربي للصحراء يلبسن أساور من فضة غليظة والرجال يتسابقون على الجياد ذات السروج المطرزة ويحملون البنادق توحي حركته بالقوة والشجاعة .

4.4. أهمية رحلة كافينياك في التعرف على اثار المنطقة:

لقد اخذ هذا الجانب حصة وافرة في رحلة كافينياك وهذا ما يدل على أن مؤرخي هذه الفترة كانوا عسكريين حيث لا يتوانون في إعادة الاعتبار للآثار الرومانية ليس لتسجيلها وحمايتها وإنما لربط تاريخ الجزائر عامة والمناطق التي شهدت إعمارا رومانيا وتأثرا بالحضارة الغربية، ومما جاء في المعطيات الأثرية في رحلة كافينياك باعتباره أول أجنبي وصل المنطقة في هذه الفترة، حيث يصف بدقة لحالة الموقع الأثري على عذريته الأولى، أي قبل أن يتعرض للتخريب من المعمرين. . (بن سيفي، 2016: 68).

5. استفادة السلطات الفرنسية من الرحلة في مشروعها الاستعماري

شجع الجنرال كافينياك السلطات الاستعمارية الفرنسية على التوغل في المنطقة واحتلالها فجاءت تقاريره مشجعة ومحفزة وأكثر من ذلك ملحة على ضرورة الاحتلال فقد استفادوا من الخرائط والدراسات والملاحظات الجغرافية والطوبوغرافية للمنطقة التي قام بإنشائها وتصميمها مما سهل عليهم إنشاء مراكز عسكرية أمامية في أعماق الصحراء وذلك بهدف تنظيم عمليات الغزو (عبد المالك طاهري وأحمد بوسعيد ، ديسمبر 1442-2020 : 87).

كما قام كافينياك بتقديم معلومات مهمة حول الطرق التجارية التي مر بها وقد زودت البيانات والرسومات التي سهلت لهم التحرك في الصحراء واكتشاف ثروات هائلة عادت بالمنفعة الاقتصادية على فرنسا وقدم معلومات عن بعض الواحات الصحراوية

ونذكر منها بسكرة وتقرت والوادي وورقلة تطرقت إلى واقع السكان ومظاهر السطح ونشاط التجارة الصحراوية بين التل والصحراء (فليكس جابو، 2013: ص190).

وفي فترة حكم الجنرال كافينياك أصدر البرلمان الفرنسي سنة 1844قانونا يقضي بالتوسع عسكريا نحو الجنوب وإنشاء مراكز عسكرية في المدن تمهيدا إلى التوغل نحو الصحراء. (عبد القادر مرجاني، 2020/2019 : ص266)

4.خاتمة:

وصفوة القول يمكن استخلاص جملة من الاستنتاجات في هذا المقال وهي :

- إن الجنوب الغربي من الصحراء قد حظي بمكانة عامة من طرف الرحالة الضابط الفرنسي كافينياك الذي أدى دورا بارزا في التعريف بالمنطقة من خلال ما وقعت عليه نظراته أو ما تعامل معه أو سمع عنه، وتقديم خلاصة ما وجده، فقام بالدراسة والوصف للعديد من المظاهر الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية،÷ خاصة ما تعلق بسكانها من عادات وتقاليد، ونظم العيش، وتوثيق كتابات تاريخية بالمعلومات والخرائط والرسومات.

- رغم التحديات والمخاطر التي اعترضته في خضم رحلاته خاصة طبيعة المنطقة القاسية ومقاومة سكانها الأبطال وبالتالي كان لكافينياك فضل في التعريف بالجنوب الغربي للصحراء كونه أول فرنسي وصل إليها، حيث قدم رصيدا ثريا بكتابات متنوعة عرفت بالمجتمع ومعالمه وارثه الثقافي والإنساني .

- الاهتمام الكبير من طرف الفرنسيين في كتابة تاريخ المنطقة مقابل ندرة ما كتب عنها من طرف الكتاب المحليين والعرب.

- عراقة وأصالة تاريخ المنطقة فهي ذات تاريخ حافل لكن هذا التاريخ يبقى حقلا غير معروف يستوجب البحث فيه للكشف عنه .

- الواقع الاجتماعي المتباين لسكان المنطقة في ظل الهيمنة الاستعمارية بعد حوالي 17 سنة من الاحتلال.

قائمة المراجع

1- بوسعيد، أحمد، (ديسمبر 2020). الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة. مجلة عصور الجديدة(العدد 04، ص 308-326)

2- بن سيفي، عز الدين، (غسطس 2016.). "تاريخ منطقة اولاد ميمون من خلال بعض المصادر الفرنسية انموذجا". *مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية* (العدد 28، ص ص 62-67). العراق: جامعة بابل

3- التلمساني، احمد بن هطال.(د.ت)، رحلة محمد الكبير باي الغرب الى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، تحرير وتقديم محمد بن عبد الكريم، الجزائر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

4- ترومللي، س. (2013). *الفرنسيون في الصحراء "يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية*، تر: محمد المعراجي(د.ط). الجزائر : منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

5- فهيم ، حسين محمد. (1989). *أدب الرحلات (د.ط) .* الكويت: مؤسسة الرسالة .

6- خريوش، عبد الرؤوف. (د.ت). دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب (د.ط). فلسطين: جامعة القدس المفتوحة.

7- مرجاني، عبد القادر. (2020/2019.). *السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م*، (اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر). الحزائر : جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس.

8- عبد المالك طاهري وأحمد بوسعيد، الرحالة المستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن 19ودورهم في احتلال المنطقة مجلة عصور جديدة مج10 ع4 ديسمبر 1442-2020

9- فليكس جابو(2013). حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية ترجمة حليمة بابوش دار الرائد الجزائر.

10- Jacquot, Félix.(1849). *Expédition du Générale Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril etMai 1847*,Gide et J.Baudry. Paris: Libraires editeur.

11- Narcisse, Faucon.(1889). *Livre d'Or De L'Algerie* .Paris : éditeurs Librairie Algérienne et Coloniale.

12- Sabatier Camille. (1881),La question du Sud Ouest. Alger : Adolph jourdan . ..

الملاحق:

خريطة لمسار رحلة الضابط كافينياك إلى الصحراء الجزائرية (Jacquot, *1849 :353*)

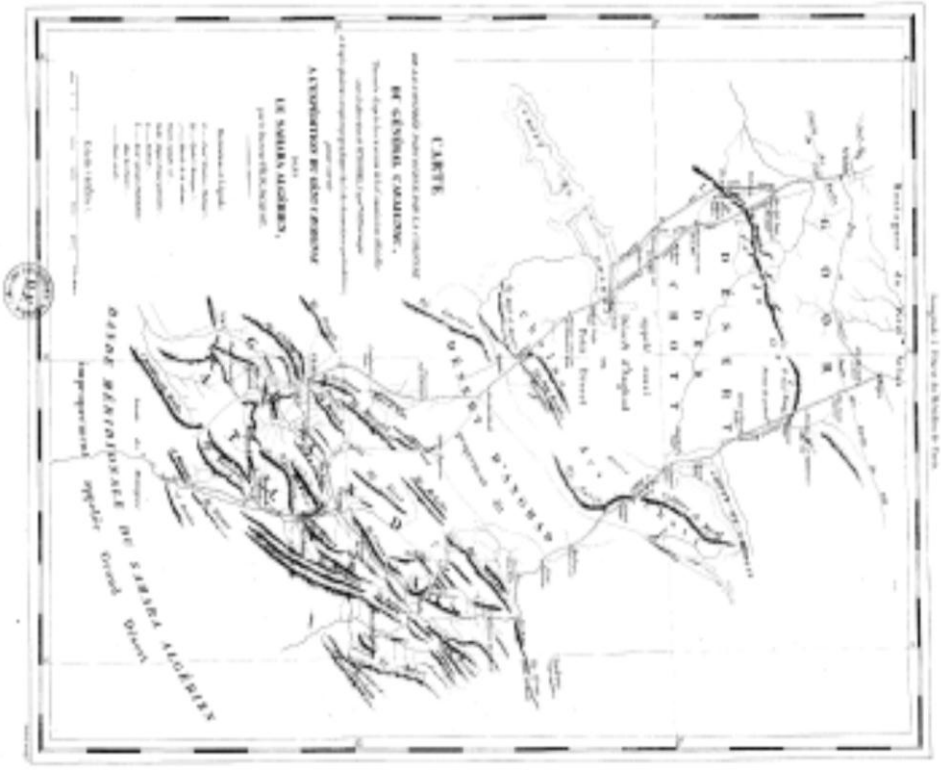

[1] الفتيشية ديانة يونانية قديمة تعني هي الاعتقاد بأن كائن من صنع شخص له قوة خارقة، أو يمكنه التحكم في الآخرين .ينظر منير البعلبكي، رمزي منير البعلبكي .(2008) المورد الحديث :قاموس إنكليزي - عربي .دار العلم للملايين، بيروت .مادة«fetishism» ، ص 436 .

[2] الراتنج او القلفونة هو إفراز عضوي يحوي المواد الهيدروكربونية من النبات، ولا سيما الأشجار الصنوبرية .و هو أحد مكونات الحليب النباتي . التي تكون قيمتها كبيرة في السوق لمكوناتها الكيميائية واستخداماتها، مثل الورنيش والصمغ، وبوصفها مصدرًا هامًا للمواد الخام وللتركيب العضوي، والبخور والعطور .الراتنج الأحفوري هو مصدر الكهرمان .ويدخل الراتنج أيضاً في مواد طلاء الأظافر , ينظر: https://arabian-chemistry.com/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%86%D8%AC/ ، تاريخ الاطلاع: 2022/06/08، على الساعة : 17.14